من النتاج الفكري للإمام الكاظم (ع):
أدعيته المباركة، وتفسيره القرآن الكريم

الأستاذ المساعد الدكتور

خليل خلف بشير

جامعة البصرة /كلية الآداب

الملخص:-

سلّط هذا البحث الضوء على نمطين من التراث الفكري للإمام الكاظم (عليه السلام) هما : دعاؤه، وتفسيره مهمداً لأدعيته بتمهيد يحتوي على معنى الدعاء في اللغة والاصطلاح، ودور الدعاء في تربية الإنسان ثمّ أعقبه بالحديث عن الدعاء في تراث الإمام، وأبرز السمات الدلالية لأدعيته المباركة، والقرآن الكريم في فكر الإمام خاتماً ذلك بنماذج من تفسيره الذي اتضح أنه في غالبيته تفسير باطني.

The intellectual Production of Imam Kadhim (peace be upon him): His Supplications and his Interpretation of the Holy Quran

Assistant Professor Dr. Khalil Khalaf Bashir.

College of Arts - University of Basrah

Abstract:

This research highlighted two types of intellectual heritage of Imam Al-Kadhim (peace be upon him): his prayers and his interpretation of the Holy Quran. The paper prefaces the meaning of du'aa and its role du'aa in the education of man and then followed by talk about supplication in the heritage of Imam. It also deals with the Holy Quran in the thought of Imam Khatma in light of his interpretations, which turned out to be mostly mystical interpretation.

المقدمة :-

إن البحث في النتاج الفكري للإمام الكاظم (ع) يستدعي الكثير من المطالعة والتنقيب في تراثه الفكري المتنوع، وقد اقتصر البحث على صنفين من هذا التراث هما: دعاؤه، وتفسيره مهمداً لأدعيته بتمهيد يحتوي على معنى الدعاء في اللغة والاصطلاح، ودور الدعاء في تربية الإنسان ثمّ عرجتُ بالحديث عن الدعاء في تراث الإمام، وأبرز السمات الدلالية لأدعيته المباركة، والقرآن الكريم في فكر الإمام خاتماً ذلك بنماذج من تفسيره الذي اتضح لنا أنه في غالبيته تفسير باطني. على أنّ هذه المحاولة إنما جاءت حرصاً مني على الإسهام في نشر فكر الإمام المغيّب، وبياناً لأهمية تراثه الثر، والله ولي التوفيق.

الدعاء في فكر الإمام الكاظم(ع):

الدعاء في اللغة والاصطلاح:

الدعاء في اللغة مشتق من مادة (دعو) فقد جاء في العين قول الخليل:((دعا دُعاءً، وفلانٌ داعي قومٍ وداعية قومٍ: يدعو إلى بيعتهم دعوة. والجمعُ: دُعاةٌ))[١]، والدعاء: ((واحد الأدعية، وأصله دعاؤ، لأنه من دعوت إلا أن الواو لما جاءت بعد الألف همزت))[٢]. و((دعوت الله أدعوه دعاء " ابتهلت إليه بالسؤال، ورغبت فيما عنده من الخير. ويقال: " دعا " أي استغاث)) [٣].

وفي الاصطلاح يعرّف بأنه((تعبير بالغ الوضوح عن عرفان المؤمن بربه، وبأسماء ربه الحسنى، ووعي عميق بضعف البشر، وإحساس شديد بأبعاد نقصه، ومراكز ذله، ومدى حاجته إلى التكامل والسمو)) [٤]، والدعاء ممارسة عبادية لها حجمها الكبير في التشريع، ولها شرائطها وآدابها وكيفياتها،وهو العبادة التي قال الله عز وجل فيها [٥]:﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ - غافر/٦٠﴾.

الدعاء ودوره في تربية الإنسان

يعدّ الدعاء وسيلة من وسائل الإسلام في تربية الإنسان، ويمثل علاجاً ناجحاً في شفاء الداعي من أمراض النفس، ويكون حائلاً دون حدوث الكبت السلبي ولأضراره البالغة فهو يتيح للنفس الإنسانية أن تعبر عن مشاعرها الدفينة التي لا تستطيع أن تعبر عنها للناس لخشيتها من ردود فعلهم أحياناً، ومن السقوط في أعينهم أحياناً أخرى فمن خلال الدعاء يُفسَح لها المجال لتعبّر ما تشاء وما تحب إلى الرب الكريم الرؤوف الرحمن الرحيم الذي تأمنه وتطمئن إلى ستره وعطفه ومحبته وإحسانه ولطفه لاسيما وهو العالم بشأنها وحقيقتها في ظاهرها وباطنها حيث تخفى على الخلائق أجمعين[٦] فعندما نشعر بأن الكون لا يحتوينا، وبأن مساحات العالم ضائعة في نفوسنا تنطق بذكر من سينتشلنا من الضياع، ويشدنا إلى السماء بوساطة حبل ممدود بين العبد وربه يقترب باقتراب العبد من ربه، ويبتعد بابتعاده عنه إنه الدعاء الذي يشكل مع الصلاة صنوان لا يفترقان، وهما من أهم الوسائل ومفاتيح الاستجابة لذا يعد الدعاء من العبادات الأساسية والسامية لدى المسلمين، ومن خلاله يكون الحوار متصلاً بين القلب وخالقه، ولعل فطرة الله التي فطر الناس عليها هي التي تقودنا إلى الدعاء لأجل سكينة القلب، وطمأنينة النفس، وصفاء الروح فهو حبل الرجاء بل هو الأمان، والرحمة، والغفران، وهو بمثابة العشق الإلهي عند مناجاة الخالق[٧] لذا يكون للدعاء ((دور تربوي عميق على صعيد التطلع الروحي للإنسان وانفتاحه على الله سبحانه وتعالى بحيث يعيش الإنسان في أجواء المناجاة سر التوحيد الإلهي في حركة مشاعره الإنسانية، وفي علاقة حاجاته وانفصالها عن غيره في عملية إيحاء داخلي بأن التوجه إلى غير الله في حاجاته...يمثل لوناً من ألوان الإثم الشعوري الذي يسيء إلى الاستقامة الروحية)) [٨].ويمثل الدعاء جانباً مهماً من آداب العربية، قد أغفل بعض الدارسين الإشارة إلى بلاغته على الرغم من أنه نثر فني رائع، وأسلوب ناصع من أجناس الكلام المنثور، ونمط بديع من أفانين التعبير، وطريقة بارعة من أنواع البيان، وسلك معجب من فنون الكلام[٩].كما يمثل شكلاً

أدبياً يقوم من حيث المظهر الخارجي على عنصر المحاورة الانفرادية إذ يتوجه الداعي بكلام مسموع إلى الله تعالى، وأحياناً بكلام صامت، ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر وجداني يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه، ومن حيث المضمون ينطوي على عنصري: الذاتية والموضوعية فالذاتية تتصل بالحاجات الفردية للداعي كطلب المغفرة، والشفاء من المرض وغيرهما، والموضوعية تشمل كل ما هو غير ذاتي، وهو نمطان[١٠]:

أ. عبادي: وهو ما يتصل بتمجيد الله تعالى.

ب. اجتماعي: وهو ما يتصل بحاجات الآخرين مثل طلب النصر على الأعداء، واستسقاء المطر، والدعاء للآخرين، وغير ذلك.

ويعد أسلوباً إنشائياً قائماً بذاته، ويقترن بصيغتين بلاغيتين ها الأمر والنهي[١١]،وهو الشيء الغالب، ويمكن أن يرد الدعاء بصيغة الخبر ويدل عليه السياق كما في قوله تعالى ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ – الأنبياء/٨٣﴾ أي ارحمني.

ولا يخلو من الحث عليه كتاب إلهي، فالقرآن الكريم رغّب في الدعاء كما في قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ- البقرة / ١٨٦﴾ والدعاء هو الوسيلة بين العبد وخالقه، واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت، وهو شعور باطني في الإنسان بالصلة والارتباط بعالم لا مبدأ له ولا نهاية، ولا حد ولا غاية لسعة رحمته وقدرته وإحاطته بجميع ما سواه[١٢]، والدعاء لا يحول الضعف قوة فحسب بل يزيد القوة قوة، ويمنح الخير بقاء وديمومة في بناء الحياة الفردية والاجتماعية، وهو ليس وسيلة إلى تلبية الحاجات فحسب بل هو محبة تتجلى بخلو المحب بحبيبه فما لا يُدرَك بالمنطق والعلم يُدرَك بمحبة المحب للمحبوب[١٣].

والدعاء هو إقبال العبد على ربه، والإقبال عليه روح العبادة، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان[١٤]؛ لقوله تعالى ﴿ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ – الذاريات/٥٦ ﴾، ومن آثار الدعاء أنه يمحو حالات اليأس والقنوط والهجران

والوحدة والغربة والاضطراب كما يخفف من وطأة كل ذلك ومن حدتها، ويدعو إلى الهدوء والسكينة والطمأنينة التي يكتسبها الداعي مما يشعره بالسرور والغبطة والفرح والانقطاع إلى الله، ويقوي إيمانه ويوثق صلته بالله تعالى[١٥].

ويبدو أن طائفة كبيرة من كتب الشيعة، ومنها كتب الأدعية قد أقدم على إحراقها طغرل بيك، وهو أوّل ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ٤٤٧هـ، وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها الوزير بهاء الدولة البويهي أبو نصر سابور بن أردشير، وكانت هذه المكتبة يومذاك من دور العلم المهمة في بغداد، وقد نافت كتبها على عشرة آلاف من جلائل الآثار، وما وصلنا من الأصول قبل التحريق مثل كتاب الدعاء للشيخ الكليني (ت ٣٢٩هـ)، وكامل الزيارات لابن قولويه (ت ٣٦٨هـ)، وكتاب الدعاء والمزار للشيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، وكتاب المزار للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، وكتاب روضة العابدين للكراجي (ت ٤٩٩هـ)، ومصباح المتهجد للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ)[١٦].

ولما كان أهل البيت (عليهم السلام) سادات المؤمنين وعنوان المتقين ومؤدبي البشرية، وقد ارتضعوا من ثدي الرسالة، ودرجوا في بيت الوحي والتنزيل والنبوة ومنهم نتعلّم الآداب والأخلاق والفضيلة فقد اختطوا لنا منهجاً واضحاً وطريقاً لاحباً في أدب الدعاء والمناجاة، وعلّمونا أسلوب التخاطب والتأدب في حضرته المقدسة[١٧].

ولعل غاية أهل البيت (عليهم السلام) من تلك المحاولة أن تجعل من الدعاء مدرسة تربط الإنسان بالحياة وتربط الحياة بالله مؤكدة المفهوم الإسلامي الذي لا يجعل من حياة الإنسان معنى مادياً بعيداً عن الروح بل يوجد تمازجاً حياً بين الروح والمادة في وحدة رائعة تنسجم مع اتصال الجانب الروحي بالجانب المادي في كيان الإنسان[١٨].

ولعل وفرة الأدعية في آثار أهل البيت تدل على مدى اضطهاد الأئمة (عليهم السلام)، واستيائهم من تلك العصور، ومن تلك الحكومات التي فسدتْ وأفسدتْ وضلتْ وأضلتْ، وهذه الأدعية كانتْ ضمن تركة النائب الثاني للإمام المهدي الشيخ

محمد بن عثمان[١٩]، وقد عني الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بالدعاء عناية بالغة، ذلك لما يترتب عليه من آثار تعود لصالح الداعي في الدنيا والآخرة، فهو من أنجع الوسائل وأعمقها في تهذيب النفوس، وهو مفتاح الرحمة ونجاح الحاجة، ولا يدرك ما عند الله تعالى إلاّ بالدعاء والابتهال، وهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، وكذا مخ العبادة وجوهرها وأفضلها، وهو سلاح الأنبياء والمؤمنين، ومفتاح الرحمة والنجاح والجنان والفلاح، وعمود الدين، وشفاء من كل داء، ودافع للبلاء، وراد للقضاء[٢٠] قال تعالى ﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم - الفرقان/٧٧﴾، وقد حفلت كتب الدعاء الكثيرة بتراث غزير من أدعية أهل البيت (عليهم السلام)، التي تعدّ صفحة مشرقة من صفحات التراث الإنساني، وذخيرة فذّة من ذخائر المسلمين، فهي من حيث الصياغة والبلاغة آية من آيات الأدب الرفيع، ومن حيث المضمون فقد أودع الأئمة (عليهم السلام) في أدعيتهم خلاصة المعارف الدينية، وهي من أرقى المناهل في الإلهيات والأخلاق، وهي وسيلة لنشر تعاليم القرآن وآداب الإسلام وبيان أدقّ أسرار التوحيد والنبوة والمعاد وغيرها من المضامين التي يترتب عليها آثار واضحة في تعليم الناس روحية الدين والزهد والأخلاق، وقد تحول الدعاء إلى مدرسة كاملة لثقافة أهل البيت (عليهم السلام) تدرس فيه العقائد، والأخلاق والمفاهيم الإسلامية والاجتماعية والإنسانية، والأدب العالي فضلاً عن التزكية والتربية العالية، وقد أسس هذا الأسلوب أهل البيت (عليهم السلام) لاسيما أمير المؤمنين في أدعيته ومناجاته المشهورة، وقد أفاد من هذا الأسلوب الإمام زين العابدين (ع) في زبور آل محمد الموسوم (الصحيفة السجادية) فكان نتاجه واسعاً ومتميّزاً وتأثيره ودوره في المنهج الثقافي كبيراً فكان بحق أنجح الأساليب في معالجة التدهور الثقافي والأخلاقي في المجتمع الإسلامي فضلاً عن التغلب على الظروف السياسية الصعبة التي واجهها الإمام بعد استشهاد أبيه الحسين (ع) [٢١].

على أن الأدعية المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) تعد ((ودائع قيّمة، وذخائر ثمينة، ونفحات رحمانية اتخذوها وسيلة للتربية وسمو الروح إلى درجات عالية)) [٢٢]، وأن

فكرة الدعاء لا تعني إلا الأسلوب الاتكالي الذي يلجأ الإنسان فيه إلى الله في أموره ومشكلاته دون أن يتقدم خطوة عملية في محاولته الذاتية في السعي لحل مشكلاته فليس من المفترض في الدعاء أن يتولى الله قضاء حاجات الإنسان بشكل مباشر مع قدرة الإنسان على مباشرة هذه الحاجات بنفسه وامتناعه عن الحركة منتظراً المعجزة السماوية؛ لأن الدين لا يؤمن بالمعجزة في حياة الإنسان العامة، وإنما يؤمن بقانون السببية الذي أودعه الله في الأشياء فجعل لكل شيء سبباً سواء في ذلك الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر والنصر والهزيمة والربح والخسارة... الخ، ودعا الإنسان إلى الأخذ بهذه الأسباب والاعتماد عليه بعد استكمال ذلك كله[٢٣] فليس صحيحاً أن نفهم الدعاء فهماً منفصلاً عن سنن الله تعالى؛ لأنّ الله تعالى قد سنّ لعباده سنناً في الكون في شؤونهم وحياتهم فلا يصح أن يهملوا هذه السنن في شؤونهم وحياتهم فلا يصح أن يكتفي الفلاح عن حرث الأرض وسقيها وتشذيبها من الأعشاب الزائدة ومكافحة الأمراض النباتية من مزرعته بالدعاء، ولا الدعاء وحده يغني عن الحرث والسقي والتشذيب فليس الدعاء بديلاً عن هذه السنن، ولا يغني سلوك هذه السنن الإنسان عن الدعاء فكلاهما متلازمان فكما لا يكون الدعاء بديلاً عن العمل كذلك لا يكون العمل بديلاً عن الدعاء؛ لأن مفاتيح هذا الكون بيد الله تعالى، والله يرزق عباده بالدعاء ما لا يقدرون عليه بالعمل، ويوفق عباده بالدعاء للأسباب الطبيعية ما لا يقدرون عليه بالعمل، وليس تمكين الله تعالى للإنسان من الأسباب الطبيعية للرزق أن يستغني الإنسان بالتعامل مع الأسباب الطبيعية من الدعاء والسؤال والطلب من الله تعالى فإن الله تعالى هو الباسط القابض، المعطي المانع، النافع الضار، المحيي المهلك، المعز المذل، الرافع الواضع[٢٤].

ويرى المشككون بالدعاء والجاهلون حقيقته وآثاره النفسية والاجتماعية بأنّ الدعاء عامل مخدّر؛ لأنه يصرف الناس عن الفعالية والنشاط وتطوير الحياة، ويرون أيضاً أنه تدخل في شؤون الله، والله يفعل ما يريد، ولعل هذه الرؤية التشكيكية نابعة من كونهم يجهلون الآثار التربوية والنفسية والاجتماعية للدعاء

فالإنسان بحاجة إلى الملجأ الذي يلوذ به في الشدائد، والدعاء يضيء نور الأمل في نفس الإنسان فمن يبتعد عن الدعاء يواجه صدمات عنيفة نفسية واجتماعية على أن الذين يصفون الدعاء بأنه تخديري لم يفهموا معنى الدعاء؛ لأنّ الدعاء لا يعني ترك العلل والوسائل الطبيعية واللجوء بدلها إلى الدعاء، وإنما المقصود أن نبذل غاية جهدنا في الاستفادة من الوسائل الموجودة، وبعد اليأس منها نلجأ إلى الدعاء فتنشرح النفس الداعية وتنبسط، وتُسرّ فضلاً عن زرع الثقة بالنفس، والاستعداد للهداية، واستقبال الحوادث بصدر رحب [٢٥].

الدعاء في تراث الإمام الكاظم(ع):

لعل المتفحص في تراث الإمام الكاظم (ع) يجد مجموعة لا بأس بها من أدعيته الجليلة، وقد بذل الأستاذ محمد علي دخيل جهداً متميزاً في جمع أدعية الإمامين الجوادين في كتاب سمّاه (أدعية الإمام موسى الكاظم والإمام محمد الجواد) أو (الصحيفة الجوادية المباركة)، وقبله أبو جعفر الكعبي الذي جمع تراث الإمام الكاظم (ع)، ومن ذلك أدعيته في كتابه الموسوم (بلاغة الإمام الكاظم– خطب، رسائل، كلمات) [٢٦]، وقد تنوعت الموضوعات في أدعيته من ذاك دعاؤه يوم المبعث، وبعد كل فريضة، ومع استقبال شهر رمضان، وعند الإفطار، ويوم المباهلة، وأدعية الأيام، ودعاء الجوشن، ودعاء الخلاص من السجن فضلاً عن التعقيبات، والأحراز، والرقع، والحجابات، وغير ذلك[٢٧].

وقد حثّ الإمام الكاظم (ع) على الدعاء، وهو ديدن أهل البيت (عليهم السلام) كما في قوله ((عليكم بالدعاء فإنّ الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء، وقد قدّر وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعي الله عزّ وجل وسئل صرف البلاء صرفه)) [٢٨].

ولعل الدعاء عنده أفضل ملجأ يُلجأ إليه عند الشدة، وأمناً يُتحصَن فيه عند مداهمة الأخطار، وأنجع وسيلة يُتوسَل بها للخلاص مما يطرأ عليه من بلاء الدنيا وشرور الحياة كما في قوله (عليه السلام) ((ما من بلاء ينزل على عبد مؤمن فيلهمه الله عزّ وجل الدعاء إلا كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبد مؤمن

فيمسك عن الدعاء إلا كان ذلك البلاء طويلاً فإذا نزل البلاء فعليكم الدعاء والتضرع إلى الله عزّ وجل)) [٢٩]. وكذا قوله ((من قال – بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله – ثلاث مرات حين يصبح وثلاث حين يمسي لم يخف شيطاناً ولا سلطاناً ولا برصاً ولا جذاماً. وأنا أقولها مائة مرة)) [٣٠]، وقوله ((من دعا لإخوانه من المؤمنين وكل الله به عن كل مؤمن ملكا يدعو له)) [٣١].

ومن أدعية الإمام الكاظم (ع) في هذا الصدد (دعاء الجوشن الصغير) دعا عندما همّ الهادي العباسي بقتله فرأى الإمام جده النبي (صلى الله عليه وآله) في المنام فأخبره بأن الله تعالى سيقضي على عدوه فلما هلك الهادي دعا بهذا الدعاء، وقد ((أورده في سياق بُشرى رآها الإمام الكاظم بموت عدوه الذي أقسم على النيل من الإمام فكان الدعاء ثناءً على الله تعالى وشكراً على نعمته في السلامة فصار تلقي المظلومين لهذا الدعاء جوشناً يلبسونه في الصراع بين الخير والشر)) [٣٢].

وحثّ (ع) على ضرورة استثمار الوقت وجودة التصرف فيه فحذرهم من إضاعته في ما لا جدوى منه من ترهات الأعمال وتوافه الشواغل وسفاهات الأفعال[٣٣] فجعل ساعات اليوم أربع منها ساعة للدعاء والمناجاة فقال: ((اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم، وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)) [٣٤].

ويبدو أن افتتاح الدعاء بكلمة (اللهم) يعد إعلاناً للتبعية، وإيذاناً سرمدياً بالحاجة الملحة التي تتخذ من علاقة بين (الله والإنسان)، وهي بمثابة انطلاقة روحية تستفرغ جهداً في السلوك المستقيم[٣٥]، وأمثلة ذلك كثيرة منها قوله (عليه السلام) في دعاء له سريع الإجابة: ((اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر فاغفر لي ما بينهما يا من إليه مفري أمني مما فزعت منه إليك اللهم اغفر لي الكثير من معاصيك واقبل منى اليسير من طاعتك يا عدتي دون العدد ويا رجائي والمعتمد ويا كهفي والسند يا واحد يا أحد

يا قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد أسألك بحق من اصطفيتهم من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحدا أن تصلى على محمد واله وان تفعل بي ما أنت أهله اللهم إني أسألك بالوحدانية الكبرى وبالمحمدية البيضاء والعلوية العليا وبجميع ما احتججت به على عبادك وبالاسم الذي حجبته عن خلقك فلم يخرج منك إلا إليك صل على محمد واله واجعل لي من أمري فرجا ومخرجا وارزقني من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب انك ترزق من تشاء بغير حساب ثم سل حاجتك)) [٣٦].

السمات الدلالية لأدعية الإمام الكاظم(ع):

يمكن إيجاز السمات الدلالية لأدعية الإمام الكاظم (ع) على النحو الآتي:

١-**اقتباسه من آي الذكر الحكيم**، وهذا يدل على تأثره بأسلوب القرآن الكريم، وتكاد تكون اقتباساته القرآنية نصية أي مباشرة وملتحمة مع النص وكأنها من نص الإمام، كما في دعائه لمّا ألقي في بركة السباع إذ يقول: ((بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والحمد لله رب العالمين أصبحت وأمسيت في حمى الله الذي لا يستباح، وستره الذي لا تهتكه الرياح، ولا تخرقه الرماح، وذمة الله التي لا تخفر، وفي عزة الله التي لا تستذل ولا تقهر، وفي حزبه الذي لا يغلب، وفي جنده الذي لا يهزم، بالله استفتحت واستنجحت وتعززت واستنصرت وتقويت واحترزت، واستعنت بالله، وبقوة الله ضربت على أعدائي وقهرتهم بحول الله، واستعنت عليهم بالله، وفوضت أمري إلى الله حسبي الله ونعم الوكيل، ﴿وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ﴾[٣٧]، شاهت وجوه أعدائي فهم لا يبصرون، ﴿ صم بكم عمى فهم لا يرجعون ﴾[٣٨]غلبتُ أعداء الله بكلمة الله أين منْ يغلبُ كلمة الله فلجتْ حجةُ الله على أعداء الله الفاسقين وجنود إبليس أجمعين، ﴿ لن يضروكم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ﴾[٣٩] ﴿ اخذوا وقتلوا تقتيلا ﴾[٤٠]، ﴿لا يقاتلونكم جميعا إلا

في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد، تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾[٤١] تحصنت منهم بالحصن الحصين، ﴿ فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ﴾[٤٢]، فآويتُ إلى ركن شديد، والتجأت إلى الكهف المنيع، وتمسكت بالحبل المتين، وتدرعت بهيبة أمير المؤمنين، وتعوذت بعوذة سليمان بن داود واحترزت بخاتمه، فأنا أين كنت كنت آمنا مطمئنا وعدوي في الأهوال حيران، وقد حف بالمهانة، وألبس الذل، وقمع بالصغار. وضربت على نفسي سرادق الحياطة، وعلقت علي هيكل الهيبة وتتوجت بتاج الكرامة، وتقلدت بسيف العز الذي لا يفل، وخفيت عن الظنون، وتواريت عن العيون، وأمنت على روحي، وسلمت من أعدائي، وهم لي خاضعون، ومني خائفون، وعني نافرون، ﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ [٤٣]، قصرت أيديهم عن بلوغي، وصُمّتْ آذانهم عن استماع كلامي، وعميت أبصارهم عن رؤيتي، وخرست ألسنتهم عن ذكري، وذهلت عقولهم عن معرفتي، وتخوفت قلوبهم وارتعدت فرائصهم من مخافتي، وانفل حدهم، وانكسرت شوكتهم، ونُكّستْ رؤوسهم وانحل عزمهم، وتشتت جمعهم، واختلفت كلمتهم، وتفرقت أمورهم، وضعف جندهم وانهزم جيشهم، و﴿ ولوا مدبرين ﴾[٤٤]، ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾[٤٥]... يا متفضل تفضل علي بالأمن والسلامة من الأعداء، وحل بيني وبينهم بالملائكة الغلاظ الشداد، ومدني بالجند الكثيف، والأرواح المطيعة، يحصبونهم بالحجة البالغة، ﴿ويقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب ﴾[٤٦]. ذللتهم وزجرتهم وعلوتهم ببسم الله الرحمن الرحيم بطه ويس والذاريات والطواسين، وتنزيل، والحواميم، وكهيعص، وحمعسق، وق والقرآن المجيد وتبارك، ون والقلم وما يسطرون[٤٧]، وبمواقع النجوم[٤٨]، وبـ﴿ الطور، وكتاب مسطور في رق منشور، والبيت المعمور، والسقف المرفوع، والبحر المسجور، إن عذاب ربك لواقع، ماله من دافع ﴾[٤٩]، فولوا مدبرين[٥٠]، وعلى أعقابهم ناكصين[٥١] وفي ديارهم جاثمين[٥٢]، ﴿ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، والقي السحرة ساجدين ﴾[٥٣]، ﴿ فوقاه الله سيئات ما

مكروا﴾[٥٤] ﴿وحاق لهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾[٥٥] ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾، ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾ [٥٦].﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﷺ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم[٥٧] ﴾...))[٥٨]. ولا يخفى ما للاقتباس النصي من القرآن من دور في إثراء الدلالة فالألفاظ في هذا النص قد تظافرت لتستحضر دلالاتها من النص القرآني فنص الإمام الدعائي استمد دلالات إضافية بما يوفره استحضار الغرض الرئيس الذي ذكر فيه النص القرآني، وما أحاطته من معان جديدة فالإمام يستحضر مواقف قرآنية شبيهة إلى موقفه هذا حينما ألقي في بركة السباع فقد تحصن بكل آية قرآنية أن تحجب العدو عنه ويتقي شره ولا عجب أن تتكئ بنية الدعاء المضمونية على معطيات القرآن الكريم بوصفه مرجعية على جميع المستويات الشكلية والدلالية؛ لأن النص الالهي هو المربي والمهيمن على ما دونه من النصوص. واذ يستضيف دعاء المعصوم النص القرآني فإنه يستنطق وظيفة ترجمته للقرآن، وخلافته للنبي بلوغا بنصه الدعائي مخ العبادة في التعالي النصي[٥٩].

٢- التكرار: من ذلك ابتداؤه أدعية الأيام بعبارات تتكرر في بداية دعاء كل يوم، وهي قوله ((مرحبا بخلق الله الجديد، وبكما من كاتبين وشاهدين اكتبا بسم الله أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأن الإسلام كما وصف، والدين كما شرع، وأن الكتاب كما أنزل، والقول كما حدث، وأن الله هو الحق المبين. حيا الله محمدا بالسلام...)) [٦٠]، وهي ديباجة دعائية بديعة لم نعهدها في بقية الأدعية، وهي من النماذج الحيوية في أدعيته المباركة التي انطوت على جملة من فنون البلاغة والفصاحة، وجمال الأسلوب، وحسن التعبير، وصناعة الكتابة ولاسيما ما يؤديه التكرار والجناس والتوازن والسجع من طاقات تعبيرية تكمن في مستوياتها اللغوية الصوتية لما فيها من جرس موسيقي مؤثر، ومنها المستوى الإيقاعي والصوتي.

والملاحظ أن هذه العبارة يبتدئ بها الإمام (ع) في أدعية الأيام، وكأنها تحيةٌ من الإمام إلى الله تعالى بوصف الإنسان في كل يوم يحل ضيفاً على ربه فلا بد أن يتأدب الضيف في حضرة المضيّف، وهكذا الإمام فهو غاية في الأدب في خطابه لخالقه [٦١]، ولعل ما يميز أدعية الأيام عند الإمام (ع) أيضاً هو إنها موزعة بين الحاجات الدنيوية والأخروية فأدعية أيام الجمعة والسبت والأحد مرتبطة بالحاجات الدنيوية في حين أدعية أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس مرتبطة بالحاجات الأخروية والنجاة من النار والفوز بالجنة، وكلها مفاهيم طلبية متسقة مع زمنية الأسبوع المرتبط بعمره الشريف[٦٢].

والملاحظ في دعاء الجوشن الصغير تكرار كم الخبرية مسبوقة بإلهي أو بسيدي ومولاي

- إلهي وكم من عدو انتضى علي سيف عدواته،....
- إلهي وكم من باغ بغاني بمكائده،....
- إلهي وكم من حاسد شرق بحسده،....
- إلهي وكم من سحائب مكروه قد جليتها، وسماء نعمة أمطرتها،....
- إلهي وكم من ظن حسن حققت،....
- إلهي وكم من عبد أمسى وأصبح في كرب الموت،....
- إلهي وكم من عبد أمسى وأصبح سقيما موجعا مدنفا في أنين وعويل يتقلب في غمه،....
- إلهي وكم عبد أمسى وأصبح خائفا مرعوبا مسهدا مشفقا وحيدا وجلا،....
- إلهي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح مغلولا مكبلا بالحديد بأيدي العداة،....
- إلهي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح يقاسي الحرب ومباشرة القتال بنفسه،....
- إلهي وكم من عبد أمسى وأصبح مسافرا شاخصا عن أهله ووطنه وولده،....
- مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد دنا يومه من حتفه،....
- مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح في مضائق الحبوس والسجون وكربها وذلها وحديدها تتداوله أعوانها وزبانيتها،....

- مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد استمر عليه القضاء، وأحدق به البلاء...

- مولاي وسيدي وكم من عبد أمسى وأصبح قد اشتاق إلى الدنيا للرغبة فيها...

وقد كثر عدد المناديات وبصيغ متعددة هي (اللهم، رب، الهي، سيدي، مولاي) ((وكلها تحمل طاقة إنشائية متفاوتة لفعل قصدي ينمو تصاعدياً خطياً مع حركة النص)) [٦٣] فضلاً عن تكراره العبارات ((فلك الحمد يا رب من مقتدر لا يغلب، وذي أناة لا يعجل، صل على محمد وآل محمد، واجعلني لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين)) في نهاية كل مقطع من الدعاء ليجدد حمده وشكره للمنعم الذي أنعم عليه بخلاصه من الطاغية.

٣- دقة استعماله الألفاظ: لا شك أن فصاحة أي نص وبلاغته تعتمد اعتماداً كلياً على انسجام الألفاظ بعضها مع بعضها الآخر، وتنطلق عملية الانسجام من اختيار اللفظة المفردة ووضعها في موضعها المناسب[٦٤] فإذا ما نظرنا إلى أدعية الإمام الكاظم (ع) نجده مبدعاً في توظيف الألفاظ عبر دلالات محددة ومقصودة، ولم تكن اختياراته نابعة من منطلق تناسب الألفاظ لتحقيق التزويق اللفظي فقط، وإنما نابعة من ضرورة ملحة يستدعيها اللفظ مع المعنى، ومن الأمثلة التي تؤيد ذلك اختياره ألفاظ دقيقة ومناسبة في دعاء الجوشن الصغير منها ((إلهي كم من عدو انتضى علي سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي شبا حده، وداف لي قواتل سمومه، وسدد نحوي صوائب سهامه ولم تنم عني عين حراسته، وأضمر أن يسومني المكروه، ويجرعني ذعاف مرارته، فنظرت إلى ضعفي عن احتمال الفوادح، وعجزي عن الانتصار ممن قصدني بمحاربته، ووحدتي في كثير من ناواني، وإرصادهم لي فيما لم أعمل فيه فكري في الأرصاد لهم بمثله، فأيدتني بقوتك، وشددت أزري بنصرك، وفللت شبا حده وخذلته بعد جمع عديده وحشده، وأعليت كعبي عليه، ووجهت ما سدد إلي من مكائده إليه، ورددته ولم يشف غليله، ولم تبرد حزازات غيظه، وقد عض علي أنامله، وأدبر موليا قد أخفقت سراياه)) [٦٥].

ويبدو في هذا النص أيضاً استعمال الإمام للكناية بكثرة منقطعة النظير، وقد ظهر فيها التشخيص والتجسيم اللذان يحركان الجماد ويضفيان الصفات الحية على المعنويات كما هو واضح في قوله (كم من عدو انتضى علي سيف عداوته، وشحذ لي ظبة مديته وأرهف لي شبا حده، وداف لي قواتل سمومه، وسدد نحوي صوائب سهامه)، وقوله (وقد عض علي أنامله، وأدبر موليا قد أخفقت سراياه)، وغير ذلك.

القرآن الكريم في فكر الإمام الكاظم(ع)

المطالع لأحاديث الإمام الكاظم (ع) يجد القرآن ماثلاً وقريناً له في كل تفاصيل حياته: في أدعيته ووصاياه واحتجاجاته وقضائه ورسائله وحكمه ومواعظه وغير ذلك، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن فكان إذا قرأ يحزن ويبكي، ويبكي السامعون لتلاوته، وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع[٦٦]، وقد حثّ على قراءة القرآن كما في قوله ((إذا خفت أمرا فاقرأ مائة آية من القرآن من حيث شئت ثم قل: اللهم اكشف عني البلاء - ثلاث مرات)) [٦٧]، وروي عنه (ع) : ((" في القرآن شفاء من كل داء". وقال:" داووا مرضاكم بالصدقة، واستشفوا بالقرآن، فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء له"))[٦٨].

وقد روى عن جده الإمام الصادق إمكانية تطبيق القرآن في كل زمان ومكان مما سمي بـ (الجري والتطبيق) إذ قال (ع) : ((إنّ رجلا سأل أبا عبد الله (ع) ما بال القرآن لا يزداد على النشر والدرس إلا غضاضة ؟ فقال: إن الله لم يجعله لزمان دون زمان وناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة)) [٦٩].

وروي أن رجلاً قال له ((إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع به فقال أبو الحسن(ع) علينا نزل قبل الناس ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضريه وفي أي ليلة نزلت كم من آية وفيمن نزلت وفيما نزلت فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه وهو قول الله تبارك وتعالى ستكتب شهادتهم ويسألون فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه

فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأدبته إليك ما لزمني فإن قبلت فاشكر، وإن تركت فإن الله على كل شيء شهيد)) [٧٠].

وعلى الرغم من أن ما وصل إلينا عن الأئمّة الميامين(عليهم السلام) بشأن القرآن الكريم وتفسيره لا يشكّل إلاّ نزراً يسيراً لما يمتلكون من حصيلة علمية، وثراء فكري ليس لهما حدود، إلاّ أنّ المتصدّي لتفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم (عليهم السلام) لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله، أبرزها تفسير القرآن تفسيراً باطنياً، والقول بسلامة القرآن من التحريف، وغيرها من المبادئ الأساسية لإدراك معاني الكتاب الكريم، وقد اعتنى الإمام الكاظم (ع) كسائر الأئمّة بالقرآن الكريم تلاوةً وحفظاً وتفسيراً، وصيانةً له من أيدي العابثين وانتحال المبطلين على الرغم مما تعرض له الإمام من اضطهاد وسجن وإرهاب، وكانت محاضراته التفسيرية للقرآن الكريم تشكّل حقلاً خصباً لنشاطه المعرفي وجهاده العلمي، وهو يرسم للأُمة المسلمة معالم هويتها الخاصّة، ومن هنا خصّص الإمام وقتاً من أوقاته للتفسير، وتناول فيه جميع شؤونه، وقد أخذ عنه علماء التفسير . على اختلاف آرائهم وميولهم . الشيء الكثير، فكان من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام وقد نهج في تفسير القرآن الكريم منهجاً علميّاً خاصّاً متّسقاً مع أهداف الرسالة وأصولها.

وفي هذا البحث نعرج على نتاج الإمام التفسيري وسنجد التفسير الباطني للقرآن الكريم ماثلاً كما يتضح من خلال شذراته التفسيرية التي يمكن إيجازها على النحو الآتي:

١- تفسيره الصبر بالصوم في قوله تعالى﴿واستعينوا بالصبر والصلاة - البقرة /٤٥﴾، وهو ما يعزز قاعدة تجانس المتعاطفين (الصوم والصلاة)، وهما عبادتان متلازمتان في كل شيء حتى في الكتب الفقهية إذ يقول: ((الصبر الصوم، إذا نزلت بالرجل الشدة أو النازلة فليصم، قال (ع): الله يقول: ﴿ استعينوا بالصبر والصلاة ﴾ والصبر الصوم)) [٧١].

٢- وفي قوله تعالى ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا

شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ - النور٣٥﴾ يفسّر المشكاة بفاطمة، وفيها مصباح: الحسن، والمصباح في زجاجة: الحسين، والكوكب الدري: فاطمة، والشجرة الزيتونة: إبراهيم (ع) [٧٢].

٣- وقوله تعالى ﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته – النساء /٨٣، والنور/١٠، و١٤، و٢٠، و٢١) فقد فسّر الإمام الفضل برسول الله (صلى الله عليه وآله)، والرحمة بعلي بن أبي طالب (ع) [٧٣].

٤- وفي واحدة من احتجاجاته عندما يسأله نصراني عن قوله تعالى﴿ حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا - الدخان ١-٣﴾ يفسّر حم بمحمد (صلى الله عليه وآله)، والكتاب المبين أمير المؤمنين، والليلة المباركة فاطمة الزهراء[٧٤].

٥- وفي جوابه عن معنى قوله تعالى ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون – الصف /٨﴾ قال: يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين γ بأفواههم، قلت: " والله متم نوره " قال: والله متم الإمامة، لقوله عز وجل: الذين ﴿ آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا – التغابن /٨﴾ فالنور هو الإمام. قلت: ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق - التوبة ٣٣﴾قال: هو الذي أمر رسوله بالولاية لوصيه والولاية هي دين الحق، قلت: ﴿ ليظهره على الدين كله " قال: يظهره على جميع الأديان عند قيام القائم، قال: يقول الله: ﴿والله متم نوره " ولاية القائم ﴿ ولو كره الكافرون ﴾ بولاية علي، قلت: هذا تنزيل ؟ قال: نعم أما هذا الحرف فتنزيل وأما غيره فتأويل [٧٥]. ففي هذه الآية مطالب تفسيرية منها: الإمامة المتجسدة في شخص الإمام علي (ع)، وإن الإمامة ممتدة إلى ظهور القائم، وإن ثمة فرق بين التفسير والتأويل.

٦- وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿ أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى أمن يمشي سويا على صراط مستقيم – الملك /٢٢﴾ يقول: ((إن الله ضرب مثل من حاد عن ولاية

علي كمن يمشي على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويا على صراط مستقيم، والصراط المستقيم أمير المؤمنين (ع))) [٧٦].

٧- ومثله في قوله تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ﷺ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون- الحاقة /٤٠- ٤١ ﴾ إذ يفسره بقوله ((جبرئيل عن الله في ولاية علي (ع)، قال: قلت: ﴿ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ﴾ ؟ قال: قالوا: إن محمدا (صلى الله عليه وآله) كذاب على ربه وما أمره الله بهذا في علي، فأنزل الله بذلك قرآنا فقال: " (إن ولاية علي تنزيل من رب العالمين) [٧٧].

٨- وفي تفسيره سورة التين يروي محمد بن الفضيل الصيرفي قال: ((سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام عن قول الله ﴿ والتين والزيتون ﴾ ؟ قال: أما التين فالحسن، وأما الزيتون فالحسين. قال: قلت: وقوله: ﴿ طور سنين ﴾ ؟ قال: إنما طور سينا. قلت: وما يعني بقوله: طور سينا ؟ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) قال: فقلت: فقوله: ﴿ وهذا البلد الأمين) ؟ قال: ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سبيل آمن الله به الخلق في سبيلهم، ومن النار إذا أطاعوه. قوله: ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ قال: ذاك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وشيعته ﴿ فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين ﴾ يعني ولايته)) [٧٨].

الخـــاتمـــة

حثّ الإمام الكاظم (ع) على الدعاء - وهو ديدن أهل البيت (عليهم السلام) - ولعل الدعاء عنده أفضل ملجأ يُلجأ إليه عند الشدة، وأمناً يُتحصَن فيه عند مداهمة الأخطار، وأنجع وسيلة يُتوسَل بها للخلاص مما يطرأ عليه من بلاء الدنيا وشرور الحياة لاسيما وأنّ جل حياته عاشها في السجن والظلم والاضطهاد، وكذا حثّ (ع) على ضرورة استثمار الوقت وجودة التصرف فيه فحذرهم من إضاعته بدون جدوى منه فجعل ساعات اليوم أربع منها ساعة للدعاء والمناجاة.

وقد تنوعت الموضوعات في أدعيته من ذاك دعاؤه يوم المبعث، وبعد كل فريضة، ومع استقبال شهر رمضان، وعند الإفطار، ويوم المباهلة، وأدعية الأيام، ودعاء الجوشن، ودعاء الخلاص من السجن فضلاً عن التعقيبات، والأحراز، والرقع، والحجابات، وغير ذلك.

وقد اتسمت أدعية الإمام الكاظم (ع) بسمات دلالية منها: الاقتباس من القرآن بوصف الإمام واحداً من أئمة الهدى الذين ذابوا في القرآن قلباً وقالباً مما أعطى النص الدعائي دلالات إضافية عند استنطاق الإمام لوظيفة ترجمته القرآن، ولعل ما يميز أدعية الإمام أنها موزعة بين الحاجات الدنيوية والأخروية.

وفي أدعيته (ع) ديباجة دعائية بديعة لم نعهدها في بقية الأدعية، وهي من النماذج الحيوية في أدعيته المباركة التي انطوت على جملة من فنون البلاغة والفصاحة، وجمال الأسلوب، وحسن التعبير، وصناعة الكتابة لاسيما ما يؤديه التكرار والجناس والتوازن والسجع من طاقات تعبيرية تكمن في مستوياتها اللغوية، ومنها المستوى الإيقاعي والصوتي.

أما تفسير الإمام للقرآن الكريم فقد كان تفسيراً باطنياً، وهو حقل خصب لنشاطه المعرفي وجهاده العلمي، وهو يرسم للأُمة المسلمة معالم هويتها الخاصّة، ومن هنا خصّص الإمام وقتاً من أوقاته للتفسير، وتناول فيه جميع شؤونه، وقد أخذ عنه علماء التفسير. على اختلاف آرائهم وميولهم . الشيء الكثير، فكان من ألمع المفسّرين للقرآن الكريم في دنيا الإسلام وقد نهج في تفسير القرآن الكريم منهجاً علميّاً خاصّاً متّسقاً مع أهداف الرسالة وأصولها.

الهوامش

١- العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (دعو) ٢/٢٢٢.

٢- الصحاح / الجوهري مادة (دعا)٦/٢٣٣٧.

٣- مجمع البحرين / الشيخ الطريحي ٢/٣٨.

٤- التشريع الإسلامي – مناهجه ومقاصده / آية الله السيد محمد تقي المدرسي ٤/٢٩١.

٥- ينظر: الكافي/ الكليني٢/٤٦٧.

٦- ينظر: أبواب الرحمة – دراسة في آفاق الدعاء ودوره في تربية الفرد والمجتمع الصالح / نبيل شعبان ١١٠.

٧- ينظر: مقال (أثر الدعاء في النفس)، كريم شلال، جريدة صوت المعلم، ع٣٢، س٨، ع٣٢، ٢٠١١، ص ٤.

٨- تفسير من وحي القرآن / السيد محمد حسين فضل الله ١/ ٧٥.

٩- ينظر: الصحيفة السجادية، مقال د.حسين علي محفوظ، مجلة البلاغ، الكاظمية، السنة الأولى، ع٦.

١٠- ينظر: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي/ د.محمود البستاني ٢٣٤.

١١- ينظر: أدب الدعاء في نهج البلاغة – دراسة دلالية، د.هناء عبد الرضا رحيم، ود. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول – نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان –، ج ٤، ص ١٥٩.

١٢- ينظر: الدعاء / د. علي شريعتي ٨-٩، ١٦-١٧.

١٣- ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن/ السيد عبد الأعلى السبزواري ٣/٦٧-٧١.

١٤- ينظر: الدعاء عند أهل البيت / محمد مهدي الآصفي ١٣.

١٥- ينظر: فلسفة المناجاة والتضرع والدعاء / محمد حسين المختاري المازنداني ٤٥.

١٦- ينظر: الدعاء عند أهل البيت ٢٧١-٢٧٣.

١٧- ينظر: منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه / صباح علي البياتي ٣٨-٣٩.

١٨- ينظر: في رحاب الدعاء / السيد محمد حسين فضل الله ١٦.

١٩- ينظر: الإمام الجواد من المهد الى اللحد / السيد محمد كاظم القزويني ٤٥٥.

٢٠- ينظر: منهج الدعاء عند أهل البيت ١٤-١٨، وفلسفة الابتلاء / الشيخ حافظ حداد ٨٥.

٢١- ينظر: دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة / السيد محمد باقر الحكيم ١٣٢/١-١٣٣.

٢٢- أدعية السيدة فاطمة الزهراء / محمد تقي دخيل.٨٤

٢٣- ينظر: في رحاب الدعاء ١٨-١٩.

٢٤- ينظر: الدعاء عند أهل البيت ٣٣-٣٤.

٢٥- ينظر: أثر الدعاء في النفس .٤

٢٦- ينظر: بلاغة الإمام موسى الكاظم / أبو جعفر الكعبي ١٩٧-.٢٤٨

٢٧- ينظر: الصحيفة الجوادية المباركة/ محمد علي دخيل ٥٤-.٢٣٨

٢٨- الكافي ٢/ .٤٧٠

٢٩- المصدر نفسه ٤٧١/٢.

٣٠- المحاسن / البرقي ٤١./١

٣١- الدعوات / قطب الدين الراوندي .٢٦

٣٢- البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، رسالة ماجستير، أحمد محمد أحمد، كلية الآداب – جامعة البصرة، ٢٠١٠، ص .٢٨٦

٣٣- ينظر: الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد – سيرة وتاريخ / الشيخ محمد حسن آل ياسين٨٥.

٣٤- بحار الأنوار / المجلسي ٣٢١/٧٥.

٣٥- ينظر: أدعية الإمام علي (ع) – دراسة تحليلية، د.مريم عبد الحسين، وحيدر ومحمود، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لـ (نهج البلاغة) الموسوم – نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان – ج٥، ص .٩٦

٣٦- الصحيفة الجوادية المباركة٧٦-٧٨.

٣٧- الأعراف / .١٩٨

٣٨- البقرة/ .١٨

٣٩- آل عمران /١١١-.١١٢

٤٠- الأحزاب /.٦١

٤١- الحشر/١٤.

٤٢- الكهف /٩٧.

٤٣- المدثر/٥٠-٥١.

٤٤-إشارة إلى قوله تعالى (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين – النمل / ٨٠).

٤٥- القمر/٤٥-٤٦.

٤٦- الصافات /٨.

٤٧- بدايات سور قرآنية هي سور طه، ويس، والذاريات، والطواسين هي (الشعراء والنمل والقصص)، والسجدة، والحواميم سبعة سور هي (غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف)، ومريم، والشورى، و ق، والملك، والقلم

٤٨- إشارة إلى قوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم – الواقعة/ ٧٥).

٤٩- الطور /١-٨.

٥٠- إشارة إلى قوله تعالى (ثمّ وليتم مدبرين - التوبة / ٢٥).

٥١- إشارة إلى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين – آل عمران / ١٤٩)

٥٢- إشارة إلى قوله تعالى (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين – هود /٦٧).

٥٣- الأعراف / ١١٨-١٢٠.

٥٤- غافر/٤٥.

٥٥- هود /٨، والآية في المصحف (وحاق بهم) وليس (وحاق لهم).

٥٦- آل عمران/ ٥٤.

٥٧- آل عمران /١٧٢-١٧٣.

٥٨- الصحيفة الجوادية المباركة ١٥٣-١٥٨.

٥٩- ينظر: البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ٢٩٩.

٦٠- بحار الأنوار ٨٧/ ١٣٤.

٦١- تنظر مقدمة أدعية الأيام في الصحيفة الجوادية المباركة ١٩٥، ١٩٢، ١٨٩، ١٨٧، ١٨٤، ١٨١، ١٧٨على التوالي.

٦٢- ينظر: الصورة الفنية في أدعية الأيام للإمام الكاظم γ، بحث، هيثم عباس عودة، من البحوث المشاركة والفائزة في مؤتمر الإمامين الجوادين الثاني، ٢٠١١.

٦٣- البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين ٢٨٦.

٦٤- ينظر: أدب الدعاء في نهج البلاغة – دراسة دلالية، ص ١٨٩.

٦٥- بحار الأنوار٩/ ٣٢٠.

٦٦- ينظر: مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٣/ ٤٣٣.

٦٧- الكافي ٢/ ٦٢١.

٦٨- مستدرك الوسائل / الميرزا النوري٢/ ٩٨.

٦٩- الحدائق الناضرة / المحقق البحراني ٥/ ٣١٨، و٩/ ٤٠٣.

٧٠- بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار ٢١٨.

٧١- بحار الأنوار ٩٣/ ٢٥٤.

٧٢- المصدر نفسه ٢٣/ ٣١٦.

٧٣- تفسير العياشي / محمد بن مسعود العياشي ١/ ٢٦١.

٧٤- بحار الأنوار ٢٥/ ٩٩.

٧٥- الكافي ١/ ٤٣٢.

٧٦- المصدر نفسه ١/ ٤٣٣.

٧٧- مناقب آل أبي طالب ٢/ ٢٩٢.

٧٨- تفسير فرات الكوفي / فرات بن إبراهيم الكوفي ٥٧٩.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- أبواب الرحمة – دراسة في آفاق الدعاء ودوره في تربية الفرد والمجتمع الصالح، نبيل شعبان، ط٣، أنوار الزهراء، ١٣٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- أثر الدعاء في النفس، مقال، كريم شلال، جريدة صوت المعلم، ع٣٢، س٨، ٢٠١١م.

- أدب الدعاء في نهج البلاغة – دراسة دلالية، د. هناء عبد الرضا رحيم، ود. مرتضى عباس فالح، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول – نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان، جامعة الكوفة، الجزء الرابع، ط١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

- أدب الشريعة الإسلامية – دراسة جديدة في بلاغة نصوص القرآن الكريم ونصوص الأربعة عشر معصوماً، د. محمود البستاني، ط١، مؤسسة السبطين العالمية، ١٤٢٤هـ.ق / ١٣٨٢هـ.ش.

- أدعية الإمام علي (ع) – دراسة تحليلية، د.مريم عبد الحسين، وحيدر ومحمود، بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول لـ (نهج البلاغة) الموسوم – نهج البلاغة سراج الفكر وسحر البيان – ج٥.

- أدعية السيدة فاطمة الزهراء (الصحيفة الفاطمية)، محمد تقي دخيل، ط٢، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

- الإمامان موسى الكاظم ومحمد الجواد سيرة وتاريخ، الشيخ محمد حسن آل ياسين، قسم الثقافة والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة، رمضان١٤٣٠هـ - أيلول ٢٠٠٩م.

- الإمام الجواد من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، ط١، دار الغدير للطباعة والنشر، قم المقدّسة، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٢، الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت – لبنان، ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، تح/ الحاج ميرزا حسن كوچه باغي مطبعة الأحمدي، طهران، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.

- بلاغة الإمام موسى الكاظم (خطب، رسائل، كلمات)، أبو جعفر الكعبي، ط١، دار الصفوة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

- البناء الأسلوبي في أدعية الأئمة المعصومين (عليهم السلام)، رسالة ماجستير، أحمد محمد أحمد، كلية الآداب – جامعة البصرة، ٢٠١٠،

- تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، د. محمود البستاني، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، مؤسسة الطبع والنشر للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد، إيران، ١٤١٣هـ

- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلامية – طهران، (د.ت).

- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي، تحقيق: محمد الكاظم، ط١ الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

- التشريع الإسلامي – مناهجه ومقاصده، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، ط١، انتشارات مدرسي، (د.ت).

- تفسير من وحي القرآن، آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، ط٢، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م.

- الحدائق الناضرة، المحقق البحراني، تح/ محمد تقي الإيرواني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية - قم المقدسة، (د.ت).

- الدعاء عند أهل البيت، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط٤، منشورات جامعة المصطفى العالمية، ١٤٢٩ق/١٣٨٧ش.

- الدعوات، قطب الدين الراوندي، تح/ مدرسة الإمام المهدي (ع)، ط١، مط: أمير، قم، ١٤٠٧هـ

- دور أهل البيت في بناء الجماعة الصالحة، شهيد المحراب آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم، ط٥، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف، صيف ٢٠٠٧م.

- الصحاح، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- الصحيفة السجادية، مقال د.حسين علي محفوظ، مجلة البلاغ، الكاظمية، السنة الأولى، ع٦.

- الصورة الفنية في أدعية الأيام للإمام الكاظم (ع)، بحث، هيثم عباس عودة، من البحوث المشاركة والفائزة في مؤتمر الإمامين الجوادين الثاني، ٢٠١١.

- فلسفة المناجاة والتضرع والدعاء، محمد حسين المختاري المازنداني، ط١، الناشر مهدي بار، مطبعة محمد، قم، جمادي الثاني، ١٤٢٣هـ.

- في رحاب أهل البيت، السيد محمد حسين فضل الله، إعداد: سليم الحسيني، ط٤، دار التوحيد للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الكافي، الشيخ الكليني، تح/علي أكبر الغفاري، ط٥، المط: حيدري، دار الكتب الإسلامية – طهران، ١٣٦٣ ش.

- مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، تح/ السيد أحمد الحسيني، ط٢، مكتب النشر الثقافة الإسلامية، ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش.

- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية – طهران، سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش.

- مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط٢، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت - لبنان، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م.

- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، تح / لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المط: الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م.

- منهج الدعاء عند أهل البيت ونماذج منه، صباح علي البياتي، ط١، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، مطبعة ليلى، ١٤٢٧هـ.

- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، آية الله العظمى السيد عبد الأعلى السبزواري، ط٢، انتشارات دار التفسير، ١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م.